الأثر النفسي لبنية المكان في الرواية الإماراتية الحديثة: رواية يوميّات روز أنموذجاً

The Psychological Impact of Spatial Structure in the Modern Emirati Novel: A Critical Study of Rose's Diary

أ. **فاطمة خميس سليمان الصغير الشميلي:** باحثة دكتوراه في اللغة العربية، جامعة سلطان إدريس، ماليزيا.

د. زاريما بنت محمد زكريا: دكتوراه في اللغة العربية، جامعة سلطان إدريس، ماليزيا.

Fatema Khamis Sulaiman Al-Sagheer Al-Shamili: PhD Researcher in Arabic Language, Sultan Idris Education University, Malaysia.

Dr. Zarima Mohd Zakaria: PhD in Arabic Language, Sultan Idris Education University, Malaysia.

Email: Fatma.alsagheer@ese.gov.ae

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v5i8.1517

تاريخ الاستلام: 2025-05-30 تاريخ القبول: 2025-06-23 تاريخ النشر 2025-08-01

الملخص:

يتناول هذا البحث الأثر النفسي لبنية المكان في الرواية الإماراتية الحديثة، وتحديدًا في رواية "يوميات روز" لريم الكمالي؛ إذ يُعد المكان عنصرًا أساسيًا في بنية الرواية، فهو ليس مجرد خلفية للأحداث، بل يساهم في تشكيل الشخصيات وتطور الأحداث. وقد أظهر البحث أن المكان الروائي يختلف عن المكان الواقعي، فهو مكان متخيل يحمل دلالات رمزية ونفسية واجتماعية، وأن وصف المكان يساهم في خلق الفضاء الروائي وإكساب الشخصيات أبعادًا جديدة وإثارة مشاعر القارئ. كما أظهر البحث أن الشخصية تتفاعل مع المكان وتتأثر، به فالمكان يعكس حالة الشخصية النفسية ويؤثر على سلوكها وتفكيرها، وأنه يؤثر على بنية الأحداث وتسلسلها، وتساهم الأحداث في خلق المعاني والدلالات داخل المكان. ومن خلال تحليل الأماكن المغلقة والمفتوحة في رواية "يوميات روز"، اتضح أن الأماكن المغلقة تعكس حالة نفسية معقدة لشخصية روز، حيث تتأرجح بين الشعور بالوحدة والاغتراب والرغبة في الحرية، بينما تمثل الأماكن المفتوحة متنفسًا لروز، وفرصة للتواصل مع العالم الخارجي، واكتشاف جوانب جديدة من شخصيتها. وفي ضوء ذلك، اعتمد البحث على كل من المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي التحليلي، مع توظيف المنهج النفسي والاجتماعي لفهم أعمق للشخصيات والمجتمع. ويهدف البحث إلى تقديم رؤية جديدة تُبرز أهمية المكان كعنصر فاعل في تشكيل النص الروائي، وتأثيره على الحالة النفسية للشخصيات. وفي النهاية، توصل البحث إلى مجموعة من التوصيات، منها: إجراء المزيد من الدراسات التي تتناول الأثر النفسي لبنية المكان في الرواية الإماراتية الحديثة، وتحليل العلاقة بين المكان والشخصية من منظورات نقدية مختلفة، ودراسة كيفية توظيف الروائيين الإماراتيين للأماكن التراثية والتاريخية في أعمالهم.

الكلمات المفتاحية: المكان الروائي، الأثر النفسي، الرواية الإماراتية الحديثة، يوميات روز، ريم الكمالي.

Abstract:

This research examined with the psychological impact of the structure of place in the modern Emirati novel, specifically in the novel "*Rose's Diary*" by Reem Al-Kamali; as place was considered an essential element in the structure of the novel, being not just a background for events, but rather contributing to the shaping of characters and the developments of events. The research showed that the fictional place differed from the real place, as it was an imaginary space carrying symbolic, psychological, and social connotations, and that the description of place contributed to creating the fictional space, giving characters new dimensions, and stirring the reader's emotions. The research also showed that the character interacted with the place and was affected by it, as the place reflected the character's psychological state and influenced their behavior and thinking. Furthermore, place affected the structure and sequence of events, while events contributed to creating meanings and connotations within the place. By analyzing the closed and open spaces in the novel "*Rose's Diary*", it became clear that the closed spaces reflected a complex psychological state of Rose's character, as she oscillated between feelings of loneliness, alienation and the desire for freedom, while the open spaces represented an outlet for Rose, offering her an opportunity to connect with the outside world and discover new aspects of her personality. In light of this, the research relied on both the inductive and the descriptive-analytical approaches, with the application of psychological and social approaches for a deeper understanding of the characters and society. The study aimed to present a new perspective that highlighted the importance of place as an active element in shaping the narrative text and its impact on the psychological state of the characters. Finally, the research reached a set of recommendations, including conducting further studies that address the psychological impact of the structure of place in the modern Emirati novel, analyzing the relationship between place and character from various critical perspectives, and studying how Emirati novelists employed heritage and historical places in their works.

Keywords: novelistic place, psychological impact, Modern Emirati novel, Rose's Diary, Reem Al-Kamali.

المقدمة:

يُعد المكان عنصرًا حيويًا في الرواية، فهو ليس مجرد خلفية للأحداث، بل هو عنصر أساسي في تكوينها ويتجلى ذلك في قدرته على تجسيد الأفكار المجردة وجعلها ملموسة للقارئ، وإظهار الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية والسياسية للنص، وخلق شعور بالواقعية لدى القارئ، والتأثير على مشاعره؛ فالعلاقة اللصيقة بين الصور الذهنية والمكانية تؤدي إلى ارتباط المعاني الأخلاقية بالإحداثيات المكانية ما يجعل المكان رمزًا ذا دلالات عميقة، ويختلف المكان في الرواية عن المكان الواقعي الذي نعرفه، فهو مكان لفظي متخيل من صنع اللغة اللفظية لخدمة أغراض التخييل الروائي، ويتمتع هذا المكان بسمات خاصة تميزه عن غيره، مثل الخيال والرمزية والتأثير والوظيفة فقد يحمل المكان الروائي دلالات رمزية تتعلق بالأحداث أو الشخصيات، ويلعب دورًا مهمًا في التأثير على مشاعر القارئ، ويخدم وظائف محددة في الرواية، مثل تحديد المكان الذي تجري فيه الأحداث، أو إبراز شخصية معينة، أو خلق شعور بالتوتر أو التشويق.

وتطور وصف المكان في الرواية من التركيز على التفاصيل الدقيقة إلى التكامل مع السرد، وهذا الأمر يعكس التطور في أسلوب الكتابة الروائية؛ فالوصف أداة سحرية في يد الكاتب لأنه يساعده على تحويل الكلمات إلى صور حية في ذهن القارئ، وخلق الفضاء الروائي، وإكساب المكان هويته، وإثارة مشاعر القارئ. وفي الرواية الحديثة، لم يعد المكان مجرد إطار خارجي تتحرك فيه الشخصيات، بل أصبح عنصرًا أساسيًا يساهم في بناء الشخصية وتطورها، ويتفاعل مع الأحداث بشكل كبير.

وتنطلق هذه الدراسة من أهمية المكان في الرواية الإماراتية الحديثة، وتحديدًا في رواية "يوميات روز" للكاتبة الإماراتية ريم الكمالي؛ إذ تسعى إلى الكشف عن الأثر النفسي لبنية المكان في الرواية، وكيفية تأثيره على شخصية البطلة روز وتطور الأحداث، وتأمل الدراسة في تقديم تحليل معمق للعلاقة بين المكان والشخصية في الرواية الإماراتية، وإظهار أهمية المكان كعنصر فاعل في تشكيل النص الروائي.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي في تتبع الأثر النفسي للمكان من خلال تحليل تفاصيل الرواية، والمنهج الوصفي التحليلي في وصف وتحليل الأماكن الموصوفة ودلالاتها، مع توظيف المنهج النفسي والاجتماعي لفهم أعمق للشخصيات والمجتمع، وقد تم اختيار رواية "يوميات روز" لأنها تقدم نموذجًا ثريًا لدراسة الأثر النفسي للمكان؛ إذ تتنوع فيها الأماكن الموصوفة، وتلعب دورًا محوريًا في تشكيل شخصية البطلة وتطور الأحداث، ما يجعلها مادة بحثية خصبة لتحقيق أهداف الدراسة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحليل بنية المكان في رواية "يوميات روز"، والكشف عن الأثر النفسي للمكان على شخصية روز، وإبراز الدلالات الرمزية للأماكن، وتوضيح العلاقة بين المكان والمجتمع، وتقديم رؤية نقدية جديدة للرواية.

أهمية البحث:

يُبرز هذا البحث الدور المحوري للمكان في تشكيل الحالة النفسية للشخصيات الروائية في الرواية الإماراتية الحديثة، ويكشف عن العلاقة التفاعلية بين المكان والشخصية، ويساهم في فهم أعمق للرواية الإماراتية، وإثراء الدراسات النقدية، والكشف عن التغيرات الاجتماعية والثقافية في الإمارات.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التي تناولت البعد النفسي لبنية المكان في الرواية، ومن هذه الدراسات:

1- دراسة **فهمي (2022):** تناولت الباحثة مفهوم المكان عند السعيد صالح وإبراهيم صالح من وجهة نظر اجتماعية ونفسية؛ إذ يُعد المكان أحد العناصر الأساسية في الرواية، فهو يشكل الإطار الذي تجري فيه الأحداث، ويؤثر على الشخصيات والأحداث والأفكار، وقد أشار النقاد إلى أن للمكان أبعادًا دلالية متعددة، منها البُعد الاجتماعي والنفسي.

ويعكس البُعد الاجتماعي للمكان العادات والتقاليد السائدة في المجتمع، ويُظهر تغيرات المجتمع بمرور الزمن. وقد اهتم الكاتبان السعيد صالح وإبراهيم صالح بالبعد الاجتماعي للمكان في أعمالهما الروائية بشكل واضح لما لهذا البعد من تأثير على القارئ.

ففي روايات السعيد صالح، يبرز البُعد الاجتماعي للمكان من خلال تصوير حياة المرأة وأثر العادات والتقاليد عليها، ومن خلال رواية "المرأة والصيف"، يستعرض الكاتب صورة بطلة تتعرض لظلم المجتمع بسبب عاداته والتقاليد التي تحرم المرأة من الحرية، وفي رواية "الموت في الصحراء"، تضطر البطلة إلى الزواج من رجل لا تحبه بسبب العادات والتقاليد التي تجبر المرأة على الزواج من رجل يختار لها أهلها.

أما إبراهيم صالح، فقد أظهر البُعد الاجتماعي للمكان من خلال تصوير اختلاف العادات والتقاليد بين المدن والقرى والصحاري، ففي رواية "القرية"، تتعرض البطلة لمضايقات أهل القرية بسبب عاداتهم والتقاليد التي تحرم المرأة من الحرية، وفي رواية "الصحراء"، تضطر الشخصيات

إلى التكيف مع عادات وتقاليد الصحراء القاسية. ومن الناحية النفسية، يؤثر المكان أيضًا على نفسية الشخصيات، ويُظهر صراعاتها الداخلية، وقد تناول الكاتبان السعيد صالح وإبراهيم صالح البعد النفسي للمكان في أعمالهما الروائية.

ففي روايات السعيد صالح، يبرز البعد النفسي للمكان من خلال تصوير أثر الاغتصاب على نفسية المرأة، ويظهر ذلك في رواية "المذنبون" التي تعاني البطلة من آثار الاغتصاب النفسية ما يدفعها إلى الانتحار، وفي رواية "الموت في الصحراء"، تضطر البطلة إلى مواجهة صراعات نفسية شديدة بسبب ظروف الحياة في الصحراء القاسية.

أما إبراهيم صالح، فقد أظهر البعد النفسي للمكان من خلال تصوير أثر الاختلاف المكاني على سلوك الشخصيات، ففي رواية "القرية"، تتغير سلوكيات الشخصيات عندما تنتقل من المدينة إلى القرية، وفي رواية "الصحراء"، تضطر الشخصيات إلى التكيف مع ظروف الحياة في الصحراء القاسية، ما يؤثر على سلوكياتها وأفكارها.

2- دراسة **درويش (2022)**: سعت الباحثتان في هذه الدراسة إلى تحليل شخصية البطل في رواية الطيب صالح "موسم الهجرة إلى الشمال"، وقد ركزت الدراسة على استكشاف الجوانب الداخلية والخارجية لشخصية البطل مصطفى سعيد، وعلاقاته المعقدة بالشخصيات الأخرى، وكيفية تأثير السياق الزماني والمكاني على تطور شخصيته.

وأظهرت نتائج الدراسة أن شخصية البطل تلعب دورًا محوريًا في الرواية، فقد تجسد الصراع الداخلي للشخصية العربية بين الهوية الشرقية والغربية، كما كشفت الدراسة عن تنوع أنماط البطل في الرواية، فمصطفى سعيد يمثل نموذجًا للبطل المعقد الذي يتأرجح بين الأمل واليأس، بين الطموح والانتقام، وأكدت الدراسة على أهمية الشخصية في بناء الرواية وتأثيرها على سير الأحداث، كما سلطت الضوء على العلاقة بين الشخصية والمكان والزمان في تشكيل هوية البطل.

وتناولت الدراسات السابقة جوانب مهمة في العلاقة بين المكان والشخصية في الرواية، فدراسة فهمي (2022) ركزت على البعدين الاجتماعي والنفسي للمكان الروائي في أعمال السعيد صالح وإبراهيم صالح، وكشفت عن تأثير العادات والتقاليد والصراعات النفسية على الشخصيات. أما دراسة درويش وآخرون (2022)، فقد حللت شخصية البطل في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح، واستكشفت الجوانب الداخلية والخارجية للشخصية وعلاقاتها المعقدة. وتختلف دراستنا الحالية عن هاتين الدراستين في تركيزها على الأثر النفسي لبنية المكان كعنصر مؤثر في الرواية الإماراتية الحديثة، وتحديدًا في رواية "يوميات روز"؛ فالدراسة الحالية تتميز بالتركيز على رواية إماراتية حديثة، وتحليل الأثر النفسي لبنية المكان بشكل مفصل، مع التركيز على كيفية تأثير الأماكن المغلقة والمفتوحة على الشخصية الرئيسية، وتقديم تحليل معمق للدلالات

الرمزية للأماكن في الرواية، وكيفية ارتباطها بالأحداث والشخصيات، والجمع بين المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي التحليلي، مع توظيف المنهج النفسي والاجتماعي.

وعلى الرغم من أهمية هاتين الدراستين في إثراء فهمنا للعلاقة بين المكان والشخصية، فإن بحثنا الحالي حول الأثر النفسي لبنية المكان في رواية "يوميات روز" يتميز بتقديم إضافة نوعية من خلال مقارنة تحليلاتنا بما ورد فيهما، وإبراز الخصوصية التي تُقدمها الرواية الإماراتية الحديثة في هذا المجال.

نقاط التقاطع والتباين مع الدراسات السابقة:

لقد كشفت تحليلاتنا للأثر النفسي لبنية المكان في "يوميات روز" عن عدة نقاط تلتقي أو تتباين مع نتائج دراستي فهمي ودرويش، ما يُسهم في تعميق فهمنا لوظيفة المكان في السرد الروائي:

أ- تأثير المكان على الحالة النفسية والصراعات الداخلية:

تتوافق نتائج بحثنا مع ما توصلت إليه دراسة فهمي حول تأثير المكان على نفسية الشخصيات وإظهار صراعاتها الداخلية؛ فكما أشارت دراسة (فهمي) إلى أثر الاغتصاب وظروف الصحراء القاسية على نفسية المرأة في أعمال السعيد صالح، وأثر الاختلاف المكاني على سلوك الشخصيات لدى إبراهيم صالح، فإن تحليلنا للأماكن المغلقة في "يوميات روز" (مثل بيت الجد والحصن)، أظهر بوضوح كيف تعكس هذه الأماكن حالة نفسية معقدة لشخصية روز، تتميز بالوحدة والاغتراب والرغبة في الحرية، وهذا يُؤكد على أن المكان ليس مجرد خلفية، بل هو محرك أساسي للصراع النفسي ومرآة تعكس تعقيدات الشخصية، وهو ما يتجلى بوضوح في "يوميات روز" عبر تأثير الفضاء المحيط على "روز".

كما يتقاطع بحثنا مع نتائج درويش التي سلطت الضوء على العلاقة بين الشخصية والمكان في تشكيل هوية البطل (مصطفى سعيد). في "يوميات روز"، تُساهم الأماكن المغلقة والمفتوحة بشكل مباشر في تشكيل هوية روز النفسية، حيث تعزز الأماكن المغلقة شعورها بالانعزال بينما تُقدم الأماكن المفتوحة (السوق وحي الشندغة) متنفسًا لها وفرصة لاكتشاف جوانب جديدة من شخصيتها والتواصل مع العالم الخارجي، وهذا يوضح ديناميكية تأثير المكان على الذات.

ب- البعد الاجتماعي للمكان وتأثيره:

أوضحت دراسة فهمي البعد الاجتماعي للمكان من خلال تصوير حياة المرأة وتأثرها بالعادات والتقاليد الظالمة في روايات السعيد صالح وإبراهيم صالح، ويتجلى هذا البعد في "يوميات

روز" من خلال الأثر النفسي للمكان على "روز" نتيجة للظلم الاجتماعي والثقافي الذي تفرضه عليها بعض الأماكن (كالحصن الذي يُصبح رمزًا لسجنها الاجتماعي)، وهذا يؤكد على أن الأماكن لاسيما المغلقة تُصبح أحيانًا تجسيدًا للقيود الاجتماعية التي تُمارس على الشخصيات، ما يُعزز الرؤية التي قدمتها فهمي حول تأثير البعد الاجتماعي للمكان، ولكن من منظور الأثر النفسي المباشر على الشخصية.

ج- التميز في تحليل بنية المكان ودلالاته الرمزية:

على الرغم من أن الدراسات السابقة قد تناولت البعد النفسي والاجتماعي للمكان، إلا أن بحثنا يتميز بتركيزه على تحليل الأثر النفسي لبنية المكان بشكل مفصل في الرواية الإماراتية الحديثة، وتحديدًا في "يوميات روز"؛ فقد كشفنا عن الدلالات الرمزية للأماكن المغلقة والمفتوحة وكيفية ارتباطها المباشر بالأحداث والشخصيات، ما يُقدم فهمًا معمقًا لكون المكان ليس مجرد خلفية للأحداث، بل هو عنصر حيوي يُساهم في تشكيل الشخصيات وتطور الأحداث وإثارة مشاعر القارئ، وهذا المستوى من التفصيل في ربط البنية المكانية بالحالة النفسية هو ما يميز دراستنا.

وعليه، بينما قدمت دراسة فهمي منظورًا اجتماعيًا ونفسيًا واسعًا للمكان، ودراسة درويش حلّلت تأثير المكان على البطل، فإن بحثنا تمكّن من سد فجوة بحثية من خلال تحليل معمق ومحدد لـ الأثر النفسي لبنية المكان في سياق الرواية الإماراتية الحديثة، "يوميات روز" أنموذجًا، وقد أظهرنا كيف يتفاعل المكان مع الشخصية ويتأثر بها، ويعكس حالتها النفسية، ويساهم في الكشف عن صراعاتها الداخلية، ما يُثري الفهم النقدي لوظيفة المكان في السرد الروائي.

أولًا: أهمية بنية المكان في الرواية:

يُعد المكان أحد أهم العناصر التي تشكل بنية الرواية، فهو ليس مجرد خلفية للأحداث، بل هو عنصر أساسي في تكوينها من خلال إضفاء صفات مكانية على النص، يتم تجسيد الأفكار المجردة وجعلها ملموسة للقارئ.

ويُستخدم المكان في الرواية لعدة أهداف، منها:

1- تجسيد الأفكار المجردة من خلال استخدام العبارات المكانية، فمثلًا، قد يُستخدم المكان المرتفع ليرمز إلى القوة والسلطة، بينما قد يُستخدم المكان المنخفض ليرمز إلى الضعف والتبعية.
2- إبراز الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية والسياسية للنص؛ إذ يمكن للمكان أن يعكس القيم والمعتقدات السائدة في المجتمع، كما يمكن أن يُستخدم لانتقاد الظلم الاجتماعي أو السياسي.

3- خلق شعور بالواقعية لدى القارئ من خلال الوصف الدقيق للمكان، يمكن للكاتب أن يُساعد القارئ على تصور الأحداث وكأنها حقيقية.

4- التأثير على مشاعر القارئ؛ إذ يمكن للمكان أن يُثير مشاعر مختلفة لدى القارئ، مثل الخوف أو الفرح أو الحزن.

وتؤدي العلاقة اللصيقة بين الصور الذهنية والمكانية إلى ارتباط المعاني الأخلاقية بالإحداثيات المكانية، فعلى سبيل المثال، قد يُنظر إلى المكان المرتفع على أنه رمز للقوة والسلطة، بينما قد يُنظر إلى المكان المنخفض على أنه رمز للضعف والتبعية (قاسم، 2004: 105).

ثانياً: المكان الروائي والواقع:

يختلف المكان في الرواية عن المكان الواقعي الذي نعرفه، حتى لو تم ذكره بنفس الاسم؛ فالمكان الروائي هو مكان لفظي متخيّل، أي أنه من صنع اللغة اللفظية لخدمة أغراض التخييل الروائي واحتياجاته. يتمتع هذا المكان بسمات خاصة تميزه عن غيره، مثل:

- الخيال: المكان الروائي ليس مكانًا حقيقيًا، بل هو من صنع خيال الكاتب.
- الرمزية: قد يحمل المكان الروائي دلالات رمزية تتعلق بالأحداث أو الشخصيات.
- التأثير: يلعب المكان دورًا مهمًا في التأثير على مشاعر القارئ.
- الوظيفة: يخدم المكان وظائف محددة في الرواية، مثل تحديد المكان الذي تجري فيه الأحداث، أو إبراز شخصية معينة، أو خلق شعور بالتوتر أو التشويق (الفيصل، 2003: 251).

وتميز الدكتورة سيزا قاسم بينهما بقولها: "كذلك فإن مكان الرواية ليس المكان الطبيعي، فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانًا خياليًا له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة" (قاسم، 2004: 104).

ثالثاً: الوصف وبنية المكان:

اهتم الروائيون في القرن التاسع عشر بشكل كبير بوصف المكان، حيث ركزوا على أدق تفاصيله لخلق صورة واقعية للمكان الذي تدور فيه أحداث الرواية؛ إذ كان الهدف من ذلك هو إيصال القارئ إلى تجربة حقيقية للمكان وكأنه يعيش فيه.

ومع مرور الوقت، تغيرت نظرة الروائيين لوصف المكان، حيث بدأوا في دمج الوصف مع السرد بشكل متكامل. أصبح كل من الفعل والحركة هما المسيطران على المقاطع الوصفية، مما أدى إلى خلق شعور بالديناميكية والتشويق لدى القارئ.

وعلى ذلك، يمكن القول إن وصف المكان في الرواية قد تطور من التركيز على التفاصيل الدقيقة إلى التكامل مع السرد، ما يعكس التطور في أسلوب الكتابة الروائية (محمد، 2024: 359).

ويُعد الوصف أداةً سحريةً في يد الكاتب، فهو يُساعده على تحويل الكلمات إلى صور حية في ذهن القارئ، فمن خلال الوصف الدقيق، يتمكن الكاتب من نقل القارئ إلى المكان الذي تدور فيه أحداث الرواية، وكأن القارئ يعيش فيه بالفعل.

ويُساعد الوصف على:

1- تصوير المكان، وذلك من خلال الوصف، يتمكن الكاتب من رسم صورة واضحة للمكان في ذهن القارئ، مع إبراز جميع تفاصيله الدقيقة.
2- خلق الفضاء الروائي، فالوصف هو الذي يُساعد على بناء العالم الروائي وتحديد معالمه.
3- إكساب المكان هويته؛ فالوصف يساعد الكاتب على إضفاء صفات خاصة على المكان، ما يجعله فريدًا ومميزًا.
4- إثارة مشاعر القارئ؛ إذ يمكن للوصف أن يُثير مشاعر مختلفة لدى القارئ، مثل الخوف أو الحزن أو الفرح.

وللوصف وظيفتان أساسيتان:

1- الوظيفة الجمالية: تظهر هذه الوظيفة في وصف جمال الطبيعة أو روعة المباني.
2- الوظيفة التفسيرية: تظهر هذه الوظيفة عندما يكون للوصف دلالة خاصة، مثل وصف مكان معين يدل على خوف أو حزن أو فرح (لحمداني، 1991: 79).

ففي الرواية التقليدية، يؤدي المكان دورًا ثانويًا كخلفية للأحداث؛ إذ تتحرك فيه الشخصيات وتقع فيه الحوادث، ولا يُولي الروائي اهتمامًا كبيرًا بوصف المكان أو خصائصه، بل يركز على الشخصيات والأحداث، وفي المقابل، يكتسب المكان في الرواية الرومانتيكية أهمية رمزية كبيرة، فهو يعكس نفسية الشخصيات ومشاعرها، ويعبر عن رؤيتها للحياة، كما يمكن أن يكون المكان حاملًا لبعض الأفكار أو الرسائل التي يرغب الكاتب في إيصالها إلى القارئ، فعلى سبيل المثال، قد يُستخدم المكان المظلم والضيق ليعكس شعور الشخصية بالخوف أو الحزن، بينما قد يُستخدم المكان المفتوح والمشرق ليعكس شعورها بالأمل والسعادة.

يقول بحراوي مبينًا ذلك: "يبدو المكان كما لو كان خزانًا حقيقيًا للأفكار والمشاعر والحدوس، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر" (بحراوي، 1990: 31).

ومن هنا تظهر أهمية المكان كعنصر فعّال في تطور الرواية وبنائها، إذ تؤثر في طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه، كما تؤثر في العلاقات التي تربط الشخصيات بعضها ببعض.

وانطلاقًا مما سبق، فإنه يمكن القول إن الفضاء أو المكان في الرواية هو أكثر شمولية واتساعًا من المكان الواقعي؛ لأنه يشير إلى أمكنة الرواية كلها، بالإضافة إلى علاقتها بالحوادث والشخصيات (الفيصل، 2003: 256).

ولا يُعد المكان في الرواية مجرد خلفية للأحداث، بل هو فضاء واسع يتسع لبنية الرواية ويؤثر على جميع عناصرها؛ فالمكان ليس مجرد هندسة جامدة، بل هو رمز يعكس مشاعر الشخصيات وأفكارها، كما يؤثر في تفاعلها مع الأحداث.

ويتجاوز المكان في الرواية الوظيفة المحددة له باعتباره موضعًا لوقوع الأحداث، ليصبح عنصرًا أساسيًا في بناء الرواية وإثرائها. فهو يُساعد على:

1- خلق الفضاء الروائي من خلال الوصف الدقيق للمكان، يتمكن الكاتب من بناء عالم الرواية وتحديد معالمه.
2- إكساب الشخصيات أبعادًا جديدة؛ إذ يمكن للمكان أن يُساعد على فهم الشخصيات بشكل أفضل من خلال الكشف عن مشاعرها وأفكارها.
3- إثارة مشاعر القارئ؛ فالمكان قادر على أن يُثير مشاعر مختلفة لدى القارئ، مثل الخوف أو الحزن أو الفرح.

فالمكان في الرواية عنصر حيوي يُساهم في إثراء النص وتأثيره على القارئ (بحراوي، 2009م: 29).

رابعاً: الشخصية وبنية المكان:

لم يعد المكان في الرواية مجرد إطار خارجي تتحرك فيه الشخصيات، بل أصبح عنصرًا أساسيًا يُساهم في بناء الشخصية وتطورها، فالعلاقة بين الشخصية والمكان علاقةٌ تتطلب إمعان نظر، فهي علاقةٌ ديناميكيةٌ تتفاعل فيها الشخصية مع المكان، ويؤثر المكان على الشخصية بدوره.

وتجاوزت هذه العلاقة الشكلية السطحية التي تعتمد على البعدين الفيزيائي والجغرافي، لتشمل سلوك الشخصية واتجاهاتها، بل إن تقاليد المكان باتت تتحكم في نفسية الشخصية وممارستها.

فقد يُشير المكان إلى الجانب الاجتماعي للشخصية عندما يظهر العلاقات في محيط الشخصية؛ لأنه يحتوي على خلاصة التفاعل بين الشخصية والمجتمع الذي تعيش فيه، فالمكان

هو مرآة تعكس الشخصية، فهو يُساعد على فهمها بشكل أفضل من خلال الكشف عن مشاعرها وأفكارها وتفاعلها مع المجتمع (شاهين، 2001: 113).

والمكان في الرواية أكثر من مجرد خلفية للأحداث، بل هو عنصرٌ أساسيٌ يُساهم في بناء الشخصية وفهمها، فالمكان الذي تعيش فيه الشخصية يُؤثر على طباعها وسلوكها تمامًا كما يُؤثر المجتمع على أفراده.

ومن خلال وصف المكان بدقة، يمكن للكاتب أن يُقدم للقارئ لمحةً عن مشاعر الشخصية وأفكارها. فالمكان يُمكن أن يُصبح رمزًا يُعبّر عن حالة الشخصية النفسية، أو عن رؤيتها للحياة، فعلى سبيل المثال، قد يُشير المكان المظلم والضيق إلى شعور الشخصية بالخوف أو الحزن، بينما قد يُشير المكان المفتوح والمشرق إلى شعورها بالأمل والسعادة، فهو نافذةٌ على الشخصية؛ لأنه يُساعدنا على فهمها بشكل أفضل من خلال الكشف عن مشاعرها وأفكارها وتفاعلها مع العالم (بدري، 2015: 120).

خامساً: الحدث وبنية المكان:

لا يُعد الحدث والمكان عنصرين منفصلين في النص السردي، بل هما عنصران متفاعلان يُؤثران على بعضهما البعض بشكلٍ كبير؛ فمن ناحية، يُؤثر المكان على بنية الأحداث وتسلسلها. فمثلاً، قد تُعيق تضاريس المكان الوعرة تقدم الشخصيات في رحلتهم، أو قد تُساعدهم على الاختباء من أعدائهم، ومن ناحية أخرى، تُساهم الأحداث في خلق المعاني والدلالات داخل المكان، فمثلاً، قد تُصبح ساحة المعركة رمزًا للعنف والموت، أو قد تُصبح حديقة الحب رمزًا للرومانسية والأمل؛ لذلك، يعمل الروائي على تفعيل عناصر البناء السردي، بما فيها المكان، لخدمة الأحداث. فهو يُوظف المكان لخلق أجواءٍ معينة، وإثارة مشاعر القارئ، وتوصيل أفكاره؛ لأن المكان يعمل "على تطوير الأحداث، ودفعها للأمام، كما قد تساهم الأحداث في تشكيل المكان، ومن خلال اكتشاف تلك العلاقة نصل إلى بنية مكانية متميزة ومتكاملة" (بدري، 2015: 124).

سادساً: المكان الروائي في رواية يوميات روز- دراسة تطبيقية:

يعد (المكان) عنصرًا حيويًّا في الرواية الحديثة؛ إذ يسهم بشكل كبير في تكوين الخلفية البصرية والجوانب البيئية التي تؤدي دورًا حاسمًا في تأثير القصة على القارئ، كما يتيح للكاتب إيجاد إطار ملائم للأحداث والشخصيات، ويعزز فهم الجمهور للسياق الثقافي والاجتماعي الذي تدور فيه الأحداث.

علاوةً على ذلك، يمكن للمكان أن يكون شخصية ثانوية تتفاعل مع الشخصيات الرئيسية ما يضيف بعدًا إضافيًا إلى التشويق والتفاعلات البينية، فالمكان عنصر لا يقل أهمية عن الشخصيات

والحبكة؛ لأنه يسهم في جعل الرواية ذات طابع فريد ومميز، ويعمل على أخذ القارئ في رحلة فريدة إلى عوالم مختلفة وقصص مثيرة.

وينقسم المكان في الرواية إلى قسمين:

1- المكان المغلق:

يعد المكان المغلق الشكل الغالب على بنية المكان في رواية (يوميات روز)؛ لأن الأحداث تجري في بيت (روز) من جهة أبيها، وتحديدًا بيت جدها، كما يعد الحصن الذي انتقلت إليه بعد زواجها أحد الأماكن المغلقة ذات الدلالة النفسية الواضحة، وبناء على ذلك سيتم توضيح أثر هذين المكانين في الرواية ودورهما النفسي على بطلة الرواية (روز).

أ- بيت الجد:

يمثل البيت في حياة أي إنسان الركن الآمن الذي تتشكل فيه هويته وتنمو فيه أحلامه، فهو كما يصفه (غاستون باشلار): "ركننا في العالَم، إنه، كما قيل مرارًا، كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما في الكلمة من معنى" (باشلار، 1984م: 36).

ويضيف: "وبهذا، فلو طلب إليّ أن أذكر الفائدة الرئيسية للبيت لقلت: البيت يحمي أحلام اليقظة، والحالم، ويتيح للإنسان أن يحلم بهدوء ... ولهذا فإن الأماكن التي مارسنا فيها أحلام اليقظة تعيد تكوين نفسها في حلم يقظة جديد، ونظرًا لأن ذكرياتنا عن البيوت التي سكناها نعيشها مرة أخرى كحلم يقظة، فإن هذه البيوت تعيش معنا طيلة حياتنا" (باشلار، 1984: 37-38).

ويظهر منزل الجد تناقضًا على المستوى النفسي لـ (روز)، فعلى الرغم من فضائه الرحب، ومساحته الكبيرة، ووجود ركن خاص بها فيه، إلا أنها تعاني من الشعور بالوحدة والاغتراب؛ إذ يعكس المنزل الفخامة والثراء التي يحيط بها، لكنه في الوقت ذاته يبدو كسجنٍ يحجبها عن التواصل الحقيقي مع العالم الخارجي. فالفخامة المادية في المنزل تعزلها عن الروابط الإنسانية الحقيقية، وتصبح الغرف الفسيحة والديكور الفاخر مجرد مكان للعيش، دون أن يكون لذلك معنى ظاهر أو حقيقي.

وهذا التناقض يظهر الجانب العاطفي والنفسي لشخصية (روز) الذي يعكس الشعور بالعزلة والفراغ رغم وجودها في بيئة ثرية ومريحة.

وتصف (روز) منزل جدها بعدة أوصاف، فأول ما وصفته به حجمه الكبير الواسع، تقول: "يا لمنزلي الواسع الذي تخفف فيه حزني قليلًا أصوات عصافيره وهي ترتل نذورها، مغردة بأعلى ما لديها، ليصح صداحًا وضجيجًا طوال النهار فوق أغصان شجرة اللوزة السمينة الممتلئة بالعاطفة!

أحب الأحاديث الصاخبة في غرفة جدتي التي لا تهدأ، ضحك هناك، مع رائحة الطهو الطيب، وصوت الأواني ومسرة الحركة، وانتقال الأجسام في مطبخ كبير بفناء بيت مهيب" (الكمالي، 2021م: 36).

وتقول في موضع آخر: "كانت ظهيرة متعبة تقطعت فيها خيالاتي وأنا أمتطي مسيرتي، وأعبر الرواق الطويل المزدان بنوافذ جصية ملأها جدي يومًا بالزخارف الحيوانية والنباتية والهندسية والكتابية التي سكنت طويلًا ذاكرة طفولتي وبراءة عيني، تاركًا لنا منزلًا غنيًّا بفن زخرفي، وبأمر من حسه الشعري، ليترحم عليه كل من يرى بيتنا من الداخل المحاصر بالنقوش في كل كلس أبيض مطبوخ ومعجون على الجدران والسقوف والشرفات، من وارش كالأنامل، وأقواس مراوغة، وركنيات متلهفة إلى النوافذ وفتحات الليوان، وثقل الأبواب وخفة المصابيح، عالم من المفرغات أحببته وتأملته على الدوام، كانت مكافأة الحياة للعيش في طفولة مزينة" (الكمالي، 2021م: 38).

ويظهر حزنها في هذا البيت الكبير بقولها: "ما إن دخلت غرفتي حتى استلقيت فوق سريري الموروث من والديّ، سرير ذو خشب هندي عملاق، بأعمدته السمينة أسفل برج الهواء، وقد شعرت لوهلة أن الحياة أصبحت كسلى، أو لعلها اللامبالاة سكنت الروح في تلك الوهلة! شهقت حزنًا في تقلبات نوم العصر وأنا أستفيق على الأذان الصادح بصوت عطش" (الكمالي، 2021م: 38-39).

ففي البداية، تصف (روز) منزلها بلغة مليئة بالإعجاب والسعادة من خلال ما يُظهره المنزل الواسع والحيوي من مشاهد سعيدة، مثل: أصوات العصافير وضحك غرفة الجدة ورائحة الطهو اللذيذة إذ يبدو المنزل في هذا السياق كملاذ مليء بالحياة والدفء.

وعلى النقيض من ذلك، يتغير الوصف فور دخولها غرفتها، فعندما تدخل (روز) إلى غرفتها يتحول الجو إلى حالة من الكسل واللامبالاة، والإشارة إلى السرير يدل على الحزن والتعب، ويجسد حالة الفتور النفسي والعاطفي، فقد صورت السرير الموروث من والديها على أنه مصدرٌ للشعور بالثقل والكآبة ما يبرز التناقض بين الإشادة بالمنزل والحياة العائلية في البداية، وبين الحالة النفسية الكئيبة التي تنتابها عند دخول غرفتها.

وبناءً على ذلك، يظهر للباحثة أن المكان الروائي المتمثل في بيت الجد كعنصر حيوي يعكس المشاعر النفسية لبطلة الرواية روز بشكل ملموس، فوصف المنزل الواسع والمليء بالحياة في البداية يكشف عن حالة التفاؤل والسعادة التي تعيشها روز خلال تلك اللحظات من خلال الإشارة إلى الأصوات السعيدة، وضحك الجدة، ورائحة الطهو التي تعد عناصر تجلب البهجة والدفء إلى حياة أي إنسان في الواقع.

مع ذلك، يكشف وصف غرفتها الخاصة وسريرها الموروث عن تغيّر في الأجواء، ويُعزز التناقض بين المظاهر الخارجية للبيت والحالة النفسية الداخلية لروز، فالسرير الذي يبدو عتيقًا وكئيبًا يُعبّر عن العبء الذي تحمله الشخصية، ويعكس الحزن والتعب الذي يختبئ وراء الواجهة السعيدة.

وعليه، يأتي المكان كأداة روائية فعّالة تساهم في تكوين الطابع النفسي لروز، ما يضيف للرواية أبعادًا أعمق، ويجعل القارئ يفهم الصراعات الداخلية التي تعيشها الشخصيات.

ب- الحصن:

يعد الحصن مرحلة جديدة في حياة (روز) بعد زواجها الإجباري من الرجل المسن؛ فبعد حياتها الكئيبة في بيت أعمامها، تنتقل لتعيش مرحلة جديدة من الأسر في ذلك الحصن الكبير، الذي تصفه بقولها: "ولقد رحلت معه إلى حصنه، الذي رتب لي فيه ثلاث غرف، ومطبخًا كبيرًا، ومجلسين، وملحقًا بغرفتين للخدم في فنائه. وأما بقية الغرف فأهملها، لأنها بحاجة إلى من يصلحها بمال، والمال حبيس بخله".

والحصن مؤامرة شاحبة بعد أن وجدته بأربعين غرفة بمجالسه وملاحقه المتراكمة، وبحكايات غير مؤرخة، وخمس عشرة غرفة لا يمكن دخولها لأنها مهجورة مثلي كأنثى خرجت أحجارها من جدرانها، أنا والحصن الآن رفيقان نتحدث عن زمن لا يعود ولن يعود، كنت كلما خرجت من الحصن لأشاهده من الخارج رأيته يطل على مرايا جسدي المتعب كأرملة في القريب القادم، فكيف تم استغلالي؟

في ظل تسع غرف أخرى بحكاياتها المتوارثة، وحالاتها البائسة، لم نعد بحاجة لها، وسبع غرف تطل على نخيل لا نهاية لها (الكمالي، 2021م: 210-211).

فمن خلال النص، يظهر أن المكان (الحصن) يحمل دلالات نفسية عميقة على بطلة الرواية روز؛ إذ يبدو أن الحصن، الذي يتم وصفه بأنه مؤامرة شاحبة، يعكس حالة من الاكتئاب أو الإحباط لنفسية (روز) نتيجة الحياة الزوجية والتجارب الصعبة التي مرت بها، وبذلك يظهر بوصفه مكانًا منعزلًا يحمل ذكريات مؤلمة.

وتدل الغرف المهجورة والتي لا يمكن الدخول إليها على الأوقات الصعبة والتجارب المؤلمة التي تمر بها روز، والتي ترتبط في الوقت نفسه بالماضي الذي لا يعود، فالرؤية الخارجية للحصن تعكس انعزال روز عن المجتمع، وهذا يحمل دلالات كثيرة كالحسرة والأسى على حالها.

والحديث عن مشاكل المال والبخل يضيفان للمكان جوًا من القهر والضيق المالي، ما يزيد من طابع اليأس والتحديات النفسية التي تواجهها روز داخل هذا الحصن.

ويمكن تحليل الدلالات الضمنية للحصن وفق الجدول الآتي:

الجدول 1: يوضح تحليل الدلالات الضمنية للحصن

الوصف المرتبط بالحصن	دلالته النفسية على بطلة الرواية (روز)
العزلة والبعد عن العالم.	يعكس وصف الحصن بأنه مهجور الحالة النفسية لروز والانعزال الذي تعيشه عن العالم بعد انتقاله إليه، فهذا المكان يحجبها عن العالم الخارجي، كما يدل على الاكتئاب والإحباط التي تعاني منه روز.
الغرف المهجورة وغير المستخدمة.	تُعبّر الغرف المهجورة وغير المستخدمة عن التجارب المؤلمة والصعاب التي مرت بها روز في الماضي، كما ترمز إلى الذكريات البائسة التي قد تكون مؤلمة وتربطها بتاريخها الصعب.
الإشارة إلى بخل الزوج في تزيين المنزل والعناية به.	يدل الإشارة إلى البخل على القهر والضيق رغم الاستطاعة، وهذا الأمر يزيد من صعوبات الحياة النفسية لروز، كما يعد البخل ولاسيما من الزوج مصدرًا أساسيًا للتعقيدات والتوتر النفسي.
الرؤية الخارجية للحصن.	يعكس هذا المظهر الانعزال والابتعاد عن المجتمع الخارجي، كما قد يكون علامة على الحسرة والأسى الذي تعيشه روز.
الغرف النهائية المطلة على النخيل.	هذه الغرف قد ترمز إلى تمني روز لحياة أفضل أو مستقبل مشرق خارج حدود الحصن؛ إذ يمكن أن تشير إلى الأمل المحدود الذي تحتفظ به روز في ظل الصعوبات.
تفاصيل المكان الكبير والمتراكم.	تدل الإشارة إلى حجم المكان وتفاصيله الكبيرة والمتراكمة إلى الفراغ النفسي على الرغم من الحجم الكبير للحصن وعدد الغرف، كما يرتبط الازدحام والتراكم بالأعباء النفسية التي تعيشها روز.

وعليه، يعمل المكان كرمز روائي يعكس الحالة النفسية المعقدة لبطلة الرواية روز، والتحديات النفسية والعواطف الصعبة التي تواجهها داخل هذا البيئة المحددة.

2- المكان المفتوح:

يشير المكان المفتوح في الرواية إلى خارج حدود أسوار المنزل الكبير الذي كانت تعيش فيه روز، ونظرًا لقلة تنقلات الشخصية في الرواية؛ فإنّ أبرز الأماكن المفتوحة التي تم تسليط الضوء عليها في الرواية هو السوق الذي كانت تقصده مع زوجة عمها، والذي كان متنفسًا لها من الضغوطات الممارسة عليها في المنزل.

أ- السوق:

تصف الكاتبة السوق بقولها: "عاودت زوجة عمي الدق على الباب لتناشدني أن أرافقها إلى السوق، كانت تلك الدعوة فرصة لمشاهدة فضاء السوق وسماع الأصوات وشم النكهات، وهي فرصة أيضًا للتخلص من دفتر يومياتي قبل أن يراها أحد... ومن دكان (أمان) الذي يذهب إلى الكويت قبل الشتاء لجلب سترات جلدية ذات أكمام طويلة، إلى دكان آخر تقف زوجة عمي أمامه تتأمل ولا تشتري، حتى وصولنا إلى طريق العبرة، وميدان جمال عبد الناصر، ونصب خشبي جديد لإعلانات السينما الوطنية مقابل مصانع الثلج، ياه.. كم تغيرت دبي.

يأتي صوت (رباع) المسحراتي المشهور منذ أسحار رمضان، مسحر كل أهل دبي في رمضان، أما في بقية شهور السنة فيمشي طويلًا من الشندغة نحو البراحة إلى بوهيل، مثبتًا على جسده اسمه المكتوب، فضلًا عن شعارات معلقة ومربوطة على بطنه وظهره توضح تخصصه ببيع الفول السوداني والنخي والقهوة برفقة حماره المزين خلفه، والصغار يمشون خلفه وبجانبه وهم يتمتعون بمشاهدة الألوان والتعاليق، محركًا الفناجين مناديًا بأعلى صوته: (حاار، بعده ما برد)" (الكمالي، 2021م: 138-139).

فالنص السابق يحمل عدة دلالات نفسية ترتبط بزيارة روز للسوق وتفاعلها مع البيئة المحيطة، وفيما يلي تحليل لهذه الدلالات:

1- السوق كمكان للتحرر والتخلص:

يظهر السوق في الرواية كمكان يقدم لروز فرصة للتحرر من روتين حياتها اليومي، كما يمنحها فرصة للتخلص من الضغوط النفسية، ويتيح لها مشاهدة وسماع الحياة اليومية واستنشاق الروائح، ما يعزز الانفتاح والتواصل مع العالم الخارجي.

2- مشاهد السوق والتغيرات في دبي:

يدل إشارتها إلى التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في دبي، من خلال وصف محلات السوق وتطور المنطقة وفق التغيرات التي قد تؤثر على حياة روز.

3- صوت المسحراتي (رباع) والحياة اليومية:

يبرز صوت المسحراتي بوصفه عنصرًا من عناصر الحياة اليومية في دبي، ما يُعزز الروحانية والتقاليد الثقافية التي تعيشها روز، كما يمكن أن يرتبط ذلك بالذكريات والتجارب الشخصية لها، وقد يُشير إلى الاستمتاع باللحظات الجميلة والتفاعل مع البيئة المحيطة.

4- دكان (رباع) كرمز للبيئة الاقتصادية:

يدل دكان (رباع) على الأماكن التجارية المرتبطة بحياة الناس اليومية في دبي؛ إذ يشير إلى الحياة التجارية والتنوع في السلع المعروضة، وهذا قد يعكس الجوانب الاقتصادية للحياة التي قد تؤثر على حالة شخصية روز.

5- الأصوات والألوان كعناصر حيوية:

يشير النص إلى وجود الأصوات والألوان في السوق، وهذه العناصر تمثل وحدات تحفيزية ومثيرة للاهتمام، والتي يمكن تفسيرها كشكل من أشكال الهروب من الروتين وإضافة حيوية إلى حياة روز.

وتقول في موضع آخر: "تركت زوجة عمي تشاهد بأريحيتها البطيئة، ومضيت أنا متنقلة بين دكان الغليون والليمون والمانجا والطحين والأرز، أعزز حضور الألوان والروائح في مخيلتي، حتى وجدته أمامي، بحجمه وظله، بطوله وجماله، وعينه الوحيدة التي نظرت إليّ منذ النافذة شبه المفتوحة لجدتي، تلك الرؤية التي جعلتني تنهيدة حرة على قارعة الغرام، أعيش أشعار عينه، حتى نسيت التهجي واللغة، وتعلق وجهي به وارتبط من خلف الوقاية، وأرخيت ذراعي وسقط الدفتر، وحينها هبط بجذعه الطويل ليحمله، مددت يدي أتناوله، فاستقام به، وأخذ يقلب أوراقه حتى تغير ثباته إلى دهشة مسائلًا: هل تكتبين؟ لم أجب وأنا أنظر إلى عينه الوحيدة الملهمة والمدركة لحياة روز" (الكمالي، 2021م: 149-150).

وعلى غرار النص الأول، يشير هذا النص إلى الانغماس في السوق، الذي يعد تجربة حسية تفتح على روز عالمًا جديدًا يحفز مخيلتها، كما يعد مكانًا يتيح لها آفاقًا جديدة في علاقاتها الشخصية؛ إذ تمكنت، وللمرة الأولى، من التواصل مع الرجل ذي العين الواحدة، أو شقيق زوجة عمها، وهو ما كان مستحيلًا بالنسبة لها في بيت أعمامها، وفي حضرة عمها وجدتها.

وعليه، يعبر النص عن تأثر عاطفي عميق لروز في السوق، فقد اجتاحتها المشاعر والأحاسيس، وتغيرت تصرفاتها ومشاعرها بشكل واضح فور لقائها بالناس وتفاعلها معهم.

وبناء على ما سبق ذكره وتحليله من النصوص السابقة الدالة على موقع السوق في الرواية، يظهر السوق بوصفه مكانًا يُعبر عن فرصة (روز) للاستمتاع بالحياة اليومية وتجارب جديدة، كما يرتبط بالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في دبي، ويعزز الجوانب الثقافية والحياتية للشخصية الرئيسية، ويظهر تفاعلها مع الشخصيات في النص.

ب- حي الشندغة:

يعد حي (الشندغة) من الأماكن التي كان لها تأثير على حياة بطلة الرواية (روز)؛ فهو المكان الذي يوجد فيه بيت أعمامها، وهو المكان الذي نشأ وتربى فيه والدها، إلا أنه كان يحمل إليها مشاعر سلبية في تلك اللحظة؛ لأن انتقالها إليه كان سببًا في عدم ذهابها مع البعثة الدراسية، وامتثالها للعادات والتقاليد الأسرية التي آلمتها كثيرًا.

وتصف الكاتبة حي (الشندغة) قديمًا بقولها: "توقفت السيارة بجانب رصيف الخور الممتد في غرب الأفق، في جهة جنوبية الرياح، حيث حي الشندغة المجاور للخور، بكل القاطنين من عرب دبي؛ إذ لم يسمح للهنود بالإقامة في الحي، ولا للبلوش أو الإيرانيين ولا الآخرين، كل هؤلاء كانوا يقبعون في منازل بسيطة في ديرة" (الكمالي، 2021م: 25).

ويحمل هذا المكان بوصفه مكانًا حيويًا العديد من الدلالات النفسية والاجتماعية، منها:

1- التباين الاجتماعي:

يعكس هذا المكان التباين الاجتماعي الواضح في دبي قديمًا؛ إذ يشير إلى تفاوت في الحقوق والامتيازات بين السكان المختلفين، فقد تم فيه استثناء بعض الجماعات من الإقامة في الحي لأسباب مختلفة.

2- الهوية الثقافية:

يُشير النص إلى أنه لم يُسمح للجنسيات الأخرى سوى العرب بالإقامة في الحي، وهو ما يظهر الفصل الاجتماعي والهوية الثقافية في المكان، ويعكس هذا التمييز تفاعلًا بين مختلف الجماعات الثقافية في المجتمع.

3- تأثير البيئة على الهوية:

يشير وقوف السيارة بجوار رصيف الخور ووصف المكان بأنه في جهة جنوبية للرياح إلى تأثير الطبيعة والبيئة على هوية المكان؛ فالموقع المحدد في النص يشكل جزءًا من هوية الحي الذي ستعيش فيه روز، ويسهم في تحديد خصوصيته.

4- التفاعل الاجتماعي:

يكشف النص عن التفاعل الاجتماعي بين مختلف الجماعات؛ إذ يتم الفصل بين السكان بناءً على أصولهم في مناطق معينة ما يدل على شمولية مجتمع الإمارات منذ القدم واحتوائه على العديد من الجنسيات من البلدان المختلفة.

5- المظهر البيئي والجغرافي:

يوفر وصف المكان للقارئ صورة بيئية وجغرافية واضحة؛ فحي الشندغة يقع بجانب الخور، وهو ما يمكن أن يلعب دورًا في حياة السكان وتفاعلهم مع البيئة المحيطة.

كما يوضح نظام حياة الناس في المنطقة ومصادر اقتصادهم؛ إذ تعكس البيئة الساحلية القديمة في مجتمع الإمارات نظامًا اقتصاديًّا قائمًا على استغلال الموارد البحرية بشكل رئيس. فقد كان الصيد والغوص على اللؤلؤ جزءًا لا يتجزأ من حياة السكان في هذه المنطقة، وكانت المياه الساحلية مصدرًا رئيسًا للطعام والعيش.

كما يدل على أهمية الساحل في حياة الأفراد، ويوضح ذلك قول (روز) متذكرة والدها ومتحدثة عن مهنته في الوقت نفسه: "ها أنا أقف باستقامة أمام المرسى من دون حراك، أختبر قدرة خيالي في استدراج زمن ما قبل ولادتي بعامين، أرى بالوهم هرولة أحدهم نحو السفينة وأبي على سطحها يأمر العمال بإنزال البضائع برفق، لم يستطع ذلك الرجل المهرول من فوضاه وفراغه وقلة ذوقه أن يدع أبي يذهب إلى بيته بأمان" (الكمالي، 2021م: 142).

علاوة على ذلك، كان للتجارة البحرية دور بارز في الاقتصاد الساحلي، فقد كانت توفر وسيلة للتبادل التجاري بين المناطق الساحلية المختلفة وغيرها من المناطق البحرية فضلًا عن أن تبادل السلع والثقافة عبر البحار ساهم في إثراء الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة.

وعليه، يدل النص السابق على أن المكان ليس مجرد ساحة طبيعية، بل يحمل طابعًا اجتماعيًا وثقافيًا معينًا؛ إذ يتفاعل الناس فيه مع الهوية والبيئة المحيطة بهم.

وعلى الجانب الآخر، تصوّر الكاتبة أثر الاحتلال الإنجليزي على المنطقة بقولها: "فمهما كان المكان ساحرًا، يبقى السهو مسؤولًا عن زاوية قلقة لم تؤرخ؛ إذ منذ ولادة الإنجليز على سواحلنا، بسيرهم على شهقات اليابسة، وهم يختبرون قوة إبحارهم في سفنهم الضخمة، ويحررون

شهوتهم في منازلة الموت فينا حتى يطوقوه بنشر أثقالهم، فينبسطون لانتزاع المسطحات المائية، والجزر تباعًا، ويتخلصون، كلما ضجروا، من أصحابها. وما أكثر الحكايات الموروثة في هذه الزرقة، لم يكتبها أحد" (الكمالي، 2021م: 27).

ويحمل هذا النص مجموعة من الدلالات النفسية والثقافية والاجتماعية سواء على بطلة الرواية (روز) أم على أفراد حي الشندغة بشكل عام، ولعلّ أبرز هذه الدلالات ما يلي:

1- التأثير الثقافي والاقتصادي:

يدل النص على أن الاحتلال الإنجليزي أحدث تحولات في التركيبة الثقافية والاقتصادية للمنطقة؛ إذ، أدت التجارة والسيطرة على المساحات البحرية والجزر، إلى تغييرات جذرية في حياة السكان المحليين، ما أسهم في استحواذ المحتل على حقوق الناس، وعدم قدرة الأهالي على استردادها.

2- التغيير في المشهد الحضري:

يشير النص إلى تغيير المشهد الحضري للحي، فقد تم استغلال المساحات المائية والجزر لاحتياجات الاستعمار الإنجليزي، وهذا التغيير يمكن أن يؤثر على هوية ومظهر الحي ويثير قلقًا بين السكان.

3- الاستيطان والصراع:

يدل النص على وجود توتر واضح بين السكان المحليين والاستيطان الإنجليزي؛ إذ صورت الكاتبة الإنجليز كمحتلين يسعون إلى التمدد والاستيلاء على الموارد الطبيعية، وهذا الأمر يخلق صراعات وتوترات في المنطقة.

4- النفسية والقلق:

يعبر النص عن حالة القلق التي يعيشها السكان نتيجةً للاحتلال، ما أدى إلى ترك أثر عميق على النفسية الفردية للأفراد؛ فقد كانوا يشعرون بعدم الاستقرار والتهديد المستمر لحقوقهم وحياتهم اليومية من قبل الاحتلال الإنجليزي.

5- تأثير التراث الشفهي:

يُشير النص إلى أهمية التراث الشفهي في نقل الحكايات والقصص المرتبطة بتلك الفترة الزمنية، مما يُظهر كيف يؤثر التاريخ في الوعي الجماعي والذاكرة الجماعيين للمجتمع. وفي الوقت

نفسه، تعكس هذه الحكايات نضال الشعب ضد الاستعمار الإنجليزي ورغبتهم الدائمة في نيل الحرية، وهو ما يجسد طموح شعوب الخليج عموما، وشعب الإمارات على وجه الخصوص.

وإن استخدام هذه الحكايات يعكس عمق العلاقة بين شعب الخليج وتاريخه الحديث، فقد خاض تجربة فريدة واجه فيها تحديات الهيمنة الاستعمارية.

وفي سياق هذه القصص، يتضح أن السكان المحليين قاوموا وصمدوا أمام التحديات التي فرضها الاستعمار الإنجليزي، وتعكس الرغبة في الحرية استمرار نضالهم وتصميمهم على الحفاظ على هويتهم الثقافية واستقلالهم. كما تظهر هذه الحكايات طموح شعوب الخليج عمومًا، وشعب الإمارات خصوصًا، نحو الحرية التي لا تقتصر فقط على الجانب السياسي والتحرر من الاستعمار، بل تمتد أيضًا إلى التطلع إلى تحقيق التقدم والازدهار الذي يحقق استقلالهم الحقيقي.

بهذه الطريقة، تعد هذه الحكايات مصدرًا هامًا لفهم التحولات الاجتماعية والثقافية في المنطقة، ومدى تأثيرها في وجدان شعب الإمارات ورؤيتهم للمستقبل. ويُظهر النص أثر الاحتلال الإنجليزي في السكان والبيئة، وكيف يُشكل هذا الأثر جزءًا من الهوية الجماعية والتجربة الحضرية والنفسية لأفراد حي الشندغة.

الجدول 2: يوضح الأماكن المغلقة والمفتوحة

الأماكن المغلقة	الأماكن المفتوحة
بيت الجد	السوق
الحصن	حي الشندغة

الخاتمة:

تناولت الدراسة الأثر النفسي لبنية المكان في الرواية الإماراتية الحديثة، وتحديدًا في رواية "يوميات روز" لريم الكمالي؛ وقد تبين أن المكان ليس مجرد خلفية للأحداث، بل هو عنصر حيوي يساهم في تشكيل شخصيات الرواية وتطور الأحداث، ومن خلال تحليل الأماكن المغلقة والمفتوحة في الرواية، تم الكشف عن الدلالات النفسية والاجتماعية التي تحملها، وكيفية تأثيرها على شخصية روز. وقد أظهرت الدراسة كيف أن الأماكن المغلقة، مثل بيت الجد والحصن، تعكس حالة نفسية معقدة لشخصية روز، حيث تتأرجح بين الشعور بالوحدة والاغتراب والرغبة في الحرية، وفي المقابل، تمثل الأماكن المفتوحة، مثل السوق وحي الشندغة، متنفسًا لروز وفرصة للتواصل مع العالم الخارجي واكتشاف جوانب جديدة من شخصيتها، وقد توصلت الدراسة للنتائج الآتية:

1. يُعد المكان عنصرًا أساسيًا في بنية الرواية، فهو ليس مجرد خلفية للأحداث، بل يساهم في تشكيل الشخصيات وتطور الأحداث.
2. يختلف المكان الروائي عن المكان الواقعي، فهو مكان متخيل يحمل دلالات رمزية ونفسية واجتماعية.
3. يساهم وصف المكان في خلق الفضاء الروائي وإكساب الشخصيات أبعادًا جديدة وإثارة مشاعر القارئ.
4. تتفاعل الشخصية مع المكان وتتأثر به؛ إذ يعكس المكان حالة الشخصية النفسية ويؤثر على سلوكها وتفكيرها.
5. يؤثر المكان على بنية الأحداث وتسلسلها، وتساهم الأحداث في خلق المعاني والدلالات داخل المكان.
6. تعكس الأماكن المغلقة في رواية "يوميات روز" حالة نفسية معقدة لشخصية روز فهي تتأرجح بين الشعور بالوحدة والاغتراب والرغبة في الحرية.
7. تمثل الأماكن المفتوحة في الرواية متنفسًا لروز وفرصة للتواصل مع العالم الخارجي واكتشاف جوانب جديدة من شخصيتها.

توصي الدراسة بما يلي:

1. إجراء المزيد من الدراسات التي تتناول الأثر النفسي لبنية المكان في الرواية الإماراتية الحديثة وتطبيقها على أعمال روائية أخرى.
2. تحليل العلاقة بين المكان والشخصية في الرواية الإماراتية من منظورات نقدية مختلفة مثل النقد الثقافي والنقد النسوي.
3. دراسة كيفية توظيف الروائيين الإماراتيين للأماكن التراثية والتاريخية في أعمالهم وتأثير ذلك على تشكيل الهوية الثقافية في الرواية.

قائمة المراجع والمصادر:

1. باشلار، غاستون (1984): *جماليات المكان، ط2*، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
2. بحراوي، حسن (1990م): *بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)*، المركز الثقافي العربي.

3. بدري، ربيعة (2015م): *البنية السردية في رواية "خطوات في الاتجاه الآخر" لحفناوي زاغر*، جامعة محمد خيضر بسكرة: رسالة ماجستير

4. شاهين، أسماء (2001م): *جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم* جبرا (ط1)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

5. الفيصل، سمر روحي (2003م): *الرواية العربية البناء والرؤية*، اتحاد الكتاب العرب.

6. قاسم، سيزا (2004م): *بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)*، مكتبة الأسرة.

7. لحمداني، حميد (1991): *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط1*، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

8. محمد، رشا (2024): علاقة المكان بالتقنيات السردية في روايات نجيب الكيلاني، *مجلة كلية الآداب*، *72* (72).